القسم الثاني

- مغربية الصحراء :الحجج التاريخية
- الأبعاد العميقة لملف الصحراء المغربية.

المنظومة الحجية لمغربية الصحراء

إننا عندما نقول بقناعة مطلقة بأن الصحراء ما هي إلا إقليم مغربي ، فلأن التاريخ يؤكد أنها لا تقل مغربية عن باقي المدن المغربية ، وهذا الطابع يتضح من خلال منظور جغرافي ولغوي وثقافي وديني وعرقي ، ويتأكد أيضا من خلال ما كتبه العديد من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين الأوربيين الذين جالوا عبر هذه المنطقة في بداية القرن الماضي ، ولا حظوا إلى أي حد كان المواطنون الصحراويون متشبثين بمغربيتهم [1]. وأحقية ومشروعية المغرب في الصحراء مؤسسة على العديد من الحجج التاريخية والقانونية والسياسية ، فالدول التي تعاقبت على حكم المغرب من القرن الحادي عشر إلى القرن العشرين لها أصول صحراوية وانطلقت من الصحراء [2] ، فقد خلصت بعض الدراسات حول تاريخ المغرب تميزه بتتابع مجموعة من الدول على الحكم ، إلا أن "الدول" التي انطلقت من الجنوب المغربي أو قامت بمساعدة الجنوب المغربي كانت فترة حكمها طويلة ، وخير دليل على تلك الفترة الزمنية التي عاشها المرابطون والمرينيون والسعديون والدولة العلوية [3].

إن طول عهد "الدول" المغربية مرتبط بعلاقات هذه الدول بالجنوب المغربي ، وعلى هذا الأساس نستنتج أنه لا استقرار للحكم بالمغرب لفترة طويلة إلا بتعاونه مع الجنوب المغربي ، فلا مغرب إذن بدون الصحراء ، وهذا ما يدفعنا إلى التأكيد أن الصحراء صنعت

---

[1]. خالد الناصري ، "الصحراء المغربية: نظرة واقعية ومتبصرة" ، وارد في: معركة فلسطين العربية ومعركة الصحراء المغربية معركة وحدة الأمة العربية المتحررة ، مؤلف جماعي ، الدار البيضاء ، مطابع البيان ، يوليوز 1979 ، ص 19.

[2] . عبد الحكيم بديع ، البوليساريو من التأسيس إلى التفكك ، الرباط ، (بدون ذكر اسم دار النشر) ، 1995 ، الطبعة الأولى ، ص 1 .

[3] . راجع غوفير عبد الحق ، الصحراء الغربية ، رسالة لنيل دبلوم الدراسات العليا ، جامعة محمد الخامس ، كلية الحقوق بالرباط ، 1993-1994،ص 85

تـاريخ المغـرب ، حيـث اهـتم الملـوك المغاربـة بـالجنوب ، وجعلـوه مـن أولويـاتهم وعينـوا خلفـاء لهـم هنـاك ومـن أفـراد أسـرتهم ، وهـذا مـا يبـرر الأهميـة التـي كانـت تعطـى للجنـوب المغربـي ، وقـد نـتج عـن اقتـران التـاريخ المغربـي بصـحرائه ديناميكيـة وحركيـة ، ممـا جعـل الصـحراء المغربية تعتبر فاعلا أساسيا في تاريخ الحياة السياسية المغربية.

وقـد احتلـت الصـحراء مكانـة هامـة فـي النسـيج الاقتصـادي للـبلاد ، وذلـك بفضـل الطـرق المشـيدة والآبـار المنشـأة مـن قبـل مختلـف الملـوك المغاربـة الـذين تعـاقبوا علـى الحكـم ، فالصـحراء كانـت مسـرحا لحركـات تجاريـة هامـة منـذ القـرن الحـادي عشـر ، وخصوصـا فـي عهد السعديين في القرن الخامس عشر.

الصـحراء كانـت صـلة وصـل بـين المغـرب وإفريقيـا ، وعبرهـا كانـت قوافـل التجـارة تنتقـل منـه إليهـا ومنهـا إليـه ، وكانـت بـين المغـرب وإفريقيـا عبـر الصـحراء عـدة طـرق أمنـت اتصـاله بهـا باسـتمرار ، وقـد حـرص ملـوك المغـرب علـى ضـمان الراحـة والأمـن لسـالكي هـذه المسـالك وقايـة لهـم مـن المهالـك ، وعبـر طـرق القوافـل الصـحراوية المغربيـة كـان ملـوك المغـرب والسودان يتهادون التحف والهدايا[4].

إن الصـحراء ليسـت فقـط مغربيـة ، وليسـت فقـط جـزءا لا يتجـزأ مـن المغـرب ، وليسـت فقـط مـن أهـم منـاطق المغـرب ، ولكنهـا بالإضـافة إلـى ذلـك مـن منـابع تاريخـه الكبـرى بكـل مـا تفجـرت بـه تلـك المنـابع مـن قـيم ومثـل عليـا لا يمكـن تجريـد المغـرب منهـا دون تجريـده مـن صـميم شخصـيته.إن الـدور الـذي لعبـه المغـرب فـي تـاريخ الصـحراء ، والـدور الـذي لعبتـه

[4] . انظر عبد الوهاب بن منصور ، حفريات صحراوية مغربية ، الرباط ، المطبعة الملكية ، 1975 ، ص 23.

الصحراء في تاريخ المغرب باعتبار الوطن الواحد أعمق أصالة من أن يستطيع الاستعمار طمسه[5].

إن تاريخ منطقة المغرب العربي الكبير يؤكد بأن الصحراويين كانوا مندمجين في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية للدولة المغربية ، لهذا شملت علاقات التفاعل المتبادل بين الإقليم الصحراوي والأقاليم المغربية الأخرى عدة جوانب تجارية ، عسكرية ، دينية ، اجتماعية وسياسية، فالاندماج إذن بين الأقاليم الصحراوية وباقي التراب الوطني هو حقيقة موضوعية ثابتة [6].

وبناء على هذه الاعتبارات ، تشكل الصحراء العمق الاستراتيجي للدولة المغربية منذ القدم ، ويعود تاريخ ارتباط الصحراء بالمغرب [7] إلى حوالي سنة 1050 عندما بسط الموحدون المنحدرون من قبائل صنهاجة سيطرتهم على مختلف مناطق المغرب الحالي. وينحدر السعديون الذين حكموا البلاد في القرن السادس عشر من أصول صحراوية ، وقد وصلت سيادة المغرب في عهد السلطان المنصور سنة 1578

إلى حدود نهر السنغال ، ومع تولي العلويين المنحدرين من تافيلالت السلطة تواصل ارتباط المناطق الصحراوية بالحياة السياسية والاقتصادية للمغرب ، خصوصا من خلال الروابط الاقتصادية القوية التي شكلتها التجارة في المناطق الواقعة ما وراء الصحراء.

إن الاعتراف بمغربية الصحراء من طرف "القوى العظمى الأوربية" ظل قائما وثابتا حتى قبيل الحرب العالمية الأولى ، حيث تؤكد الاتفاقية السرية الفرنسية البريطانية في

---

[5] . انظر عبد المجيد بن جلون ، مذكرات المسيرة الخضراء ، الدار البيضاء ، شركة الطبع والنشر ، 1975 ، ص 32

[6]. عبد السلام المودن ، الدولة المغربية : قضايا الديمقراطية ، القومية والاشتراكية ، الدار البيضاء ، عيون المقالات ، 1990 ، الطبعة الأولى ، ص 72.

[7] . "أدلة دامغة تؤكد مغربية الصحراء" ، مجلة الأمن الوطني ، العدد 196 مرجع سابق ، ص 6.

خامس غشت 1890 مغربية منطقة الساقية الحمراء ووادي الذهب بدون لبس. كما أن إسبانيا اعترفت دوما في الماضي بأن سيادة المغرب على الصحراء تمتد إلى ما وراء وادي درعة ، وكانت تصرح في مطلع القرن العشرين بأن هذه الأراضي تابعة للسلطة المركزية المغربية وكانت تؤمن بذلك دبلوماسيا ، كما أن المسؤولين المغاربة كانوا يعتقدون ذلك أيضا [8].

فعلى ضوء التجاوب والالتحام الموجود بين العرش المغربي والقبائل الصحراوية ، واستمرارية تلك الروابط والعلاقات التي كانت تربط هذه القبائل بملوك المغرب ، فإن عرى هذه الروابط لم ينقطع ، بل ظلت هذه الروابط على مدى الأزمنة تنجز أسمى الغايات إلى حد المستطاع ، فتولد عن ذلك أعظم الثقات وأجلها في نفوس ملوك المغرب [9].

إن ما يجب التأكيد عليه ، هو أن المغرب كان الدولة الوحيدة التي تبسط سيادتها وسلطتها على الصحراء ، وكحجة على هذه السيادة توجد عدة دلائل [10] :

- تعيين وعزل الخلفاء والقواد في الأقاليم الصحراوية.
- مراسلات الملوك المغاربة مع شيوخ القبائل الصحراوية.
- رحلات سلاطين المغرب للقبائل الصحراوية.
- تلقي ملوك المغرب للبيعات الشرعية من القبائل الصحراوية.

---

[8] . انظر عبد العزيز خلوق التمساني ، بحوث ونصوص حول تاريخ المغرب المعاصر ، المحمدية ، منشورات سليكي إخوان ، 1996 ، الطبعة الأولى ، ص 38

[9] . صدوق محمد أبيه ، الصحراء المغربية قبل الاحتلال وبعده ، الجزء الأول ، العيون ، مطبعة فضالة ، 1989 ، الطبعة الثانية ، ص 123.

[10] . محمد عنان ، الصحراء المغربية حقيقة وتاريخ ، مرجع سابق ، ص 25.

⇦ اعتـراف الـدول الكبـرى بمغربيـة الصـحراء وإبرامهـا علـى هـذا الأسـاس اتفاقيـات ومعاهدات دولية مع المغرب ومع غيره ، تقر فيها صراحة أو ضمنيا بمغربية الصحراء .

وعلـى العمـوم ، لقـد كانـت المنـاطق الصـحراوية الجنوبيـة منطقـة مغربيـة وسـتبقى مغربيـة لأن تلك هي رغبة سكانها ، ولأن هذا ما حكم به المنطق والتاريخ[11].

بنـاء علـى مـا سـبق ، سـنحاول تفصـيل الـنقط والعناصـر المشـار إليهـا أعـلاه ، وتحليلهـا وفقا للتقسيم التالي:

المبحث الأول: الأدلة والحجج التاريخية.
المبحث الثاني: الأدلة والحجج القانونية.

المبحث الأول
الحجج التاريخية حول مغربية الصحراء

لا يمكـن دراسـة التـاريخ الخـاص بمنطقـة السـاقية الحمـراء ووادي الـذهب وفصـله عـن سـياق الأحـداث الواقعـة بـالمغرب ، كمـا يسـتحيل فصـل التطـور التـاريخي للقبائـل الصـحراوية عن نظيره بالمغرب في مجموعه ، لأنه يتشكل مع تاريخ المغرب.

فمنـذ قيـام المـرينيين فـي القـرن الحـادي عشـر ارتـبط تـاريخ القبائـل الصـحراوية بتـاريخ الدولـة المغربيـة ، ونفـس هـذا الإقـرار عبـر عنـه أحـد المـؤرخين [12] بـأن الطـابع المغربـي لسـكان الصـحراء الغربيـة واقـع لا يمكـن دحضـه ، رغـم تكـاثف جهـود العـدو وبعـض المنـاورات السـرية

---

11. مقتطف من تصريح وزير الداخلية المغربي الأسبق السيد إدريس المحمدي في الندوة الصحفية التي عقدها يوم 9 مارس 1958 ، انظر: مجلة إضاءات ، العدد الأول يناير 1999 ، ص 33.

12. voir Ali Yata ،le Sahara occidental marocain ،Casablanca ،Ed. ALBAYAN ،Octobre 1972 .

للفصل النهائي لهذه الأقاليم عن الوطن الأم المغرب ، فوحده الاستعمار جزأ الوحدة المغربية القوية منذ قرون خلت.

إن التاريخ هو الذي يبين لنا الروابط التاريخية والدينية والأسرية التي تربط القبائل الصحراوية بالوطن الأم[13]. ومن خلال استقراء لبعض المصادر التاريخية فإن جميع الملوك العلويين حرصوا على تعيين من ينوب عنهم في تسيير شؤون رعاياهم في هذه الأقاليم الجنوبية.

وفي هذا الإطار ، نشير أن موظفا دوليا عمل لسنوات طويلة ببعثة الأمم المتحدة لتنظيم الاستفتاء في الصحراء (المينورسو) أورد في مقال نشرته مجلة "لافريك ريبل" براهين تاريخية تؤكد مغربية الصحراء ، حيث ذكر بالخصوص بأن "المغرب كان في عهد المرابطين يوجد على رأس إمبراطورية تمتد من نهر السنغال إلى وسط شبه الجزيرة الإيبيرية" ، وأشار إلى أن "المرابطين وحدوا الصحراء بكاملها ما بين سنوات 1042 و 1052 وأن الصحراء كانت وقت تقسيم المستعمرات تشكل مع المغرب كيانا اقتصاديا وسياسيا ودينيا واحدا" [14] ، فمغربية الصحراء لا ترتكز بالفعل على ذكريات تاريخية بعيدة ، إنها واقع سياسي تأكد خلال القرن العشرين بنفس القوة كما كان عليه الأمر في الحقب القديمة[15].

---

[13] . جريدة الصحراء المغربية ، العدد 4005 ، بتاريخ 7 يناير 2000.

[14] Ali Yata ،Le Sahara occidental marocain ،op. cit ،p 92

[15] . سوف نتطرق لتحليل مضامين هذه الاتفاقية في الفقرة الثانية من هذا المطلب.

إن أولئك الذين يشككون في هذه القضية ، يبينون أن لهم إلى حد ما عقلية استعمارية ، لأنهم يحددون الحدود التاريخية للمغرب اعتمادا على تلك التي وضعها المستعمر. وقد ناقش المؤرخ "برنارلوغان Bernard Lugan" قضية الصحراء المغربية في كتابه الأخير تحت عنوان "تاريخ المغرب من جذوره إلى اليوم Histoire du Maroc des origines à nos jours" ، فبتفحصه لتاريخ المغرب من القديم إلى الحقبة الحالية ، أراد المؤرخ أن يبين تاريخيا ، سياسيا ، لغويا ، ثقافيا ، دينيا وعرقيا أنه لا

يوجد على الإطلاق ما يسمى ب "الشعب الصحراوي" ، ويؤكد هذا الطرح – حسب هذا الاختصاصي في شؤون إفريقيا– الاتفاقية السرية الفرنسية – البريطانية المؤرخة في 5 غشت 1890 [16] التي تنص على الاعتراف بالحماية البريطانية على جزر "زنجبار" و"بومبا" في المحيط الهندي ، مقابل الاعتراف لفرنسا بإمكانية احتلال الصحراء الوسطى الغربية للحصول على ممر في اتجاه الجنوب أي نحو النيجر وبحيرة تشاد ، وكان يتحتم على فرنسا أن تحترم الحدود المغربية الممتدة من فكيك إلى الرأس الأبيض (نواديبو في موريطانيا) ، وهذا يعني أن الصحراء "الإسبانية سابقا" كانت حكما أرضا مغربية[17].

كما أثبتت الوقائع التاريخية ، أن القبائل الصحراوية كانت تطلب يد المساعدة من السلطان المغربي في كل مرة كانت تهددها القوات الأجنبية [18] وكان سلاطين المغرب يعتبرون هذه المناطق مغربية وأنها جزء لا يتجزأ من المغرب ، لذلك كانوا يبعثون للقبائل

---

16 La marocanité du Sahara ،voir le site :http//www.courrier international.com/dossiers

17 Rachid LAZRAK ،le contentieux territorial entre le Maroc et l'Espagne ،CASABLANCA ،DAR el Kitab ،1979 ،p 137

18 F. Trout ،Morocco's Sahara frontiers ،Genève ،Drog ،1969 ،p 156.

الجنوبية بالأسلحة والعتاد بواسطة ممثليهم هناك ، وكانوا يساندون كفاح الشيخ "ماء العينين" ضد الاحتلال الفرنسي الإسباني ، وبالنسبة إلى ماء العينين ، اعتبر العديد من الباحثين [19] أن بفضله تمكن السلطان من تدعيم سلطته جنوب وادي درعة ، وأنه مقرب كثيرا من

السلطان ويتلقى منه التعليمات بصفة منتظمة ، وقد انتقل الشيخ ماء العينين سنة 1897 إلى مراكش وكان في استقباله العاهل الشريف ، وطلب من هذا الأخير الترخيص له بإعلان الحرب على الفرنسيين والإسبان ، ومن أجل هذا الهدف زوده السلطان بالمال والأسلحة وعهد إليه بمهمة تهدئة أمور الصحراء المغربية.

وإذا كانت مغربية الصحراء من البديهيات التي سبق التسليم بها ، والتي لا تحتاج إلى المزيد من الاستدلال والبرهنة ، فإنه لا يتناقض مع هذا التحليل ، من باب الدراسة العلمية الأكاديمية ، عرض بعض الحجج والبراهين التاريخية التي تؤكد

بطريقة لا تقبل الجدل مغربية الصحراء ، وذلك على مستويين وفقا للتقسيم التالي:

الفقرة الأولى: الحجج التاريخية على المستوى الداخلي حول مغربية الصحراء.

الفقرة الثانية: الحجج التاريخية على المستوى الدولي حول مغربية الصحراء.

---

19 . راجع أحمد السلمي الإدريسي ، محاولة في مفهوم الروابط القانونية بين الدولة المغربية والأقاليم الصحراوية قبل 1912 ، رسالة ، مرجع سابق ص 109 .

الفقرة الأولى : الحجج التاريخية على المستوى الداخلي حول مغربية الصحراء

إن التتبع التاريخي لعلاقة الدول التي حكمت المغرب ابتداء بالمرابطين وانتهاء بالعلويين ، علاقة هذه الدول بمنطقة الصحراء ، يثبت قيام علاقات سيادة تخضع لمفهوم القانون العام الإسلامي المتمثل في البيعة بين سلاطين المغرب ومنطقة الصحراء ، وقد اتخذت هذه العلاقات عدة صور ، حيث مارس المخزن المغربي سيادته على الصحراء منذ القرن الخامس عشر ، وتتجلى مظاهر ممارسة هذه السيادة في عدة ممارسات سلطانية روابط دينية وسياسية.

أولا: المظاهر الدينية لممارسة السيادة

إن تلقب السلطان بلقب الإمام يفرض مباشرة قيام الدعوة له بالمساجد في صلاة الجمعة ، كما يصبح تبعا لذلك يملك حق تولية القضاة. وفيما يخص منطقة الصحراء ، فقد تطرقت المصادر التاريخية إلى التوحد المذهبي للصحراء تحت لواء المالكية ، وإلى كثرة وانتظام اتصالات رجال وشيوخ الصحراء بالسلاطين المغاربة.

إن كثافة هذه الاتصالات سمحت لبعض الباحثين أن يعطوا ، عن قصد أو بغير قصد ، صفة هذا الجانب من الروابط على كل الروابط الأخرى القائمة بين المغرب والصحراء. إلا أن انتماء سكان الصحراء إلى مجتمع ترحلي لم يمنع هذه الروابط الدينية من بلورة مظاهرها ، ذلك أن الصحراء المغربية- حافظت دائما على مركزها كمعقللوجدان ديني متأجج - لم تتوقف فيه ممارسة الشعائر الدينية أبدا ، وأمام غياب أماكن ثابتة للصلاة

فقد كانت صلاة الجمعة تقوم أينما حلت القبيلة ، وفي ختامها يقوم الدعاء للسلطان ، وهو أمر بديهي ينظر إليه كمتمم للصلاة[20]

وفي هذا الإطار تجدر الإشارة إلى أن أهل "تجكانت" عندما أرادوا بناء مسجد متصل بأبنيتهم من أجل إقامة صلاة الجمعة ، استأذنوا السلطان مولاي الحسن ، الذي أذن لهم بذلك بظهير موجه لهم كافة يذكرهم بالشروط المطلوبة من معالم الشرع والسنة .

وكان السلاطين المغاربة من جهتهم يعملون على نشر العلم و الدين في إقليم الصحراء ، فقد قدروا الشيوخ الصحراويين الذين يقومون بهذه المهمة الجليلة بمنحهم ظهائر توقير واحترام كالتي تمنح لغيرهم بشمال المغرب. فالسلطان مولاي الحسن ذكر في الظهير الذي أسدل به أردية التوقير و الاحترام على أهلً دار بالأعمشً وً أبو جاراتً من أهل "تجكانت" بأنه قام بذلك تعظيما لهم ومراعاة لكون دارهم دار علم وصلاح وحجة وفلاح في القديم و الحديث وكون الفقهاء منهم ورواة الحديث [21]

ونفس الشيء أشير إليه في ظهير توقير الطالب إبراهيم بن مبارك التكني لانتسابه للعلم الشريف ، وقد تم أحيانا صرف مرتب شهري للقيام بهذا العمل كما هو في الظهير الممنوح من طرف السلطان مولاي الحسن للشيخ ماء العينين إعانة له على ما هو بصدده من بث العلم الشريف ونشره.

---

[20] . نفس المرجع ، ص 111 .
[21] . نفس المرجع و الصفحة .

هـذه الأوضـاع القانونيـة التـي تنشـئها الظهـائر الشـريفة ، تتسـم بطـابع الديمومـة ، بحيـث يقـوم السـلاطين اللاحقـين بتجديـدها بواسـطة ظهـائر جديـدة يرتكـزون فيهـا علـى ظهـائر أسـلافهم ، وهـؤلاء الفقهـاء الـذين يحصـلون عـن ظهـائر التـوقير والاحتـرام يشـرفون ، بالإضـافة إلـى نشـر العلـم الشـريف ، علـى حـل المنازعـات التـي يرضـى أطرافهـا الاحتكـام إلـيهم نظـرا لطبيعـة المجتمـع الترحلـي ، ويعتبـر الحكـم الصـادر نافـذا لا يقـدر المحكـوم عليـه أن يمتنـع عنـه إلا إذا أوعـز إليـه أحـد العلمـاء أن ذلـك الحكـم غيـر منصـف أو صـحيح فيطلـب نقضـه ، وبصـفة عامـة ، كانـت الأحكـام تصـدر وفـق المـذهب المـالكي ، والسـلاطين المغاربـة كـانوا حريصـين علـى ذلـك ، فالسـلطان مـولاي الحسـن نبـه الطالـب سـيدي احمـد بـن محمـد بـالأعمش فـي ظهيـر توليتـه خطـة القضـاء بقبيلـة " تجكانـت" إلـى أن يتحـرى فـي أحكامـهً مـا جـرى بـه العمـل أو الراجح أو المشهور من مذهب إمامنا مالكً [22].

وعلـى العمـوم ، يبـدو أن وجـود روابـط دينيـة بـين إقلـيم الصـحراء والدولـة المغربيـة أمـر لا يمكـن نفيـه ، أمـام تعـدد مظاهرهـا ، وثبـوت إلقـاء خطـب يـوم الجمعـة بالمسـاجد باسـم السـلطان الشـريف و التقيـد بتعـاليم المـذهب المـالكي[23] ، كمـا تجـدر الإشـارة أن مـن أهـم الوظـائف التـي يقـوم بهـا المخـزن المغربـي – بحكـم هـذه الـروابط الدينيـة و الروحيـة – وظيفـة التحكـيم بـين القبائـل ، فحينمـا كانـت تقـوم منازعـات بـين قبائـل الصـحراء كـان المخـزن يتـدخل لمساندة المظلومين وحل المشاكل بين الطرفين[24].

---

22 . Abdellah LAROUI ،L'algerie et le Sahara marocain ،CASABLANCA ،Serar ،Juin ،p28

23 . محمد الفاسي وعبد الكبير الفاسي ، الصحراء المغربية الواقعة تحت الاستعمار الإسباني ، الرباط، مطبعة الأنباء وزارة الإعلام ، (بدون ذكر سنة النشر) ، ص 7

24 . بخصوص الرحلات والتنقلات والزيارات التي كان يقوم بها سلاطين المغرب إلى إقليم الصحراء ، نؤكد أنه خيار مغربي ترسخ منذ بداية الدولة المغربية ، وذلك لتفقد شؤون الرعية والقيام بأعمال تنموية بالإضافة إلى تقوية الروابط بين العرش والشعب.

ثانيا : المظاهر السياسية لممارسة السيادة :

إن الروابط ذات الطابع السياسي بين الدولة المغربية و الأقاليم الصحراوية متجذرة في التاريخ ، وازدادت توطدا مع ظهور الأطماع الاستعمارية. فقد نزل المولى رشيد أثناء تأسيسه للنظام الجديد حتى تخوم السودان ، واتبع المولى إسماعيل نفس النهج حيث نجح في مراقبة كل أرجاء البلاد المغربية ، وسار في جولة تفقدية في بداية عهده قادته حتى شنقيط ، وأرسل أحمد بن أخيه على رأس فرقة عسكرية لفض بعض النزاعات بين القبائل . وإبان فترة الصراع بين أبناء المولى إسماعيل على السلطة ، ظل العمال التابعون للمخزن المغربي متواجدين بشنقيط ، فقد نزل المولى عبد الله مرتين إلى " دياني" قرب "تمبكتو" لاستخلاص الضرائب. وقام محمد بن عبد الله بتثبيت حفيد علي شندورة ، المختار بن عمر بن علي على إمارة الطرارزة ، كما اهتم السلطان مولاي عبد الرحمان بهذا الإقليم وعالج شؤونه ومشاكله مع رعاياه به ، وهو نفس النهج الذي اتبعه ابنه سيدي محمد بن عبد الرحمان بعد مبايعته سلطانا على المغرب ، موجهين اهتمامهم إلى مسألة التسلل الأجنبي إلى الأقاليم الجنوبية التي بدأت تستفحل خلال القرن 19. على أن السلطان مولاي الحسن في متابعته لنفس الخطة رفع اهتمامه بهذا الإقليم إلى مرتبة أعلى بحيث سافر إليه بنفسه [25] في رحلة أولى وعين مجموعة من العمال وقائدا يستشيرون معه في أقوالهم وأفعالهم ، ثم سافر في رحلة ثانية منح أثناءها ظهيرا بتكليف إبراهيم بن علي

وهكذا قام المولى إسماعيل مثلا برحلة إلى الصحراء ، وتزوج من أسرة صحراوية ، ورحلت معه زوجته إلى العاصمة مكناس آنذاك ، وأصبح الصحراويون مرتبطين برباط المصاهرة مع السلطان ، راجع :

=محمد المختار السوسي ، ايليغ قديما وحديثا ، الرباط، المطبعة الملكية، 1966،ص228.

-باهي محمد احمد، " الكفاح الوطني في الصحراء المغربية ضد قوات الاحتلال والغزو" ، دعوة الحق، العدد الأول، السنة السابعة عشرة، ماي 1975 ، ص160.

[25] .أحمد السالمي الادريسي ، محاولة في مفهوم الروابط القانونية..... ، مرجع سابق ، ص117 .

بـن محمـد التكنـي بحراسـة الشـواطئ المجـاورة لقبيلتـه ، وظـل يتـابع محـاولات التسـرب الاسـتعمارية ، ودعمـا لجهـود وقـف هـذا التسـلل عـين محمـد بـن الحبيـب التـدرداري قائـدا علـى قبائـل مجـاط والفويكـات وثلـث أيـت لحسـن وزركـاط وتوبالـت ولميـار مـن التكنـة، ثـم وسـع قيادتـه بظهير آخر على قبيلة المناصير من أزركين[26].

وهكـذا ، وباسـتعراض هـذه المظـاهر الدينيـة والسياسـية ، والتـي تشـكل انعكاسـا مباشـرا للـروابط القانونيـة بـين إقلـيم الصـحراء والدولـة المغربيـة ، ننتهـي إلـى التأكيـد علـى كثافـة هـذه الانعكاسـات ومـن تواصـلها المسـتمر الغيـر المنقطـع ، وهـو مـا تؤكـده بـاقي مظـاهر ممارسة السيادة.

ومـن أبـرز هـذه المظـاهر ، مقاومـة الشـيخ مـاء العينـين للمسـتعمر باسـم السـلطان وبـأمر منـه ، وينتمـي الشـيخ مـاء العينـين إلـى قبيلـة خمـيس التـي انتقلـت مـع طالـب ضـيا المختـار إلـى أدار (موريطانيـا) فـي القـرن الثـاني عشـر ، وهـي قبيلـة مغربيـة صـنهاجية أصـلية ، أي تـرتبط بأصـل عربـي قرشـي هاشـمي علـوي (الحسـن بـن علـي) وبأصـل مغربـي سياسـي مـذهبي (الشـرفاء الأدارسـة)، تلقـى تنشـئته الدينيـة مـن والـده محمـد الفاضـل مؤسـس الطريقـة الفاضلية.

وعنـد اسـتقراء العلاقـات السياسـية بـين الشـيخ مـاء العينـين والسـلطان المغربـي ، نجـد أن الوقـائع التاريخيـة تثبـت قيـام تبعيـة بـالمعنى الـوطني أي انتمـاء إلـى سـلطة سياسـية مخزنيـة وملامـح مشـروع سياسـي محلـي المنطلـق وشـمولي الهـدف. فالشـيخ مـاء العينـين كـان يتمتـع بشخصـية مميـزة اسـتطاعت بفضـل الثقافـة الإسـلامية الواسـعة والإيمـان الشـديد، فـرض

26 .أحمد السالمي الادريسي ، محاولة في مفهوم الروابط القانونية..... ، مرجع سابق ،

نفسها في منطقة تتعايش فيها زعامات قبلية ، لكن هذه الشخصية لم تتحول إلى قيادة سياسية إلا بحيازتها لشروط الزعامة نفسها : علاقات واضحة مع السلطان العلوي، نفوذ محلي قوامه الزاوية والدعوة لمحاربة الغزو الأجنبي المسيحي ، وقد أعلن بيعته للسلطان المولى عبد العزيز سنة 1894[27].

وعند ما زار الشيخ سنة 1890 السلطان مولاي الحسن خاطبه هذا الأخير بأن "..... مولاي عبد الرحمان بن هشام جعل منك ابنا له ، والسلطان سيدي محمد بن عبد الرحمن اعتبرك أخا له، و أنا أتخذ منك أبا لي ..."[28].

وكان الشيخ ماء العينين هو القائد الذي تمخضت عنه الولادة الجديدة ، وانتدبته الصحراء ليكون المدافع عن استقلال الوطن ، وأصبح خليفة للسلطان في المنطقة الصحراوية. وقد بات هاجسه الوحيد هو كيف يخلص البلاد من الغزو الأجنبي وتعبئة كل القوى الصحراوية أولا والوطنية ثانيا. وقد ذاع صيته لا في الصحراء وحدها بل في مجموع التراب الوطني كشيخ زاوية وفقيه ومصلح ثم كقائد عسكري ، خاض منذ سنة 1906 معارك ضارية ضد القوات الفرنسية[29] .

وقد اعتمدت السياسة التي اتبعتها السلطة الشرعية في المغرب داخل الصحراء على زعامة الشيخ ماء العينين الدينية ، وولائه لها وحماس القبائل وغيرتها على استقلال البلاد ووحدتها ومن ثم استماتتها وصمودها في الجهاد [30] ، ذلك أن مقاومة المستعمر وحماية

---

[27] . علال الأزهر ، الصحراء المغربية: الوحدة والتجزئة في المغرب العربي ، مرجع سابق ، ص 96.

[28] . محمد الشيخ الطال أخيار ماء العينين ، "صفات من دفاع المغاربة عن السيادة والوحدة الترابية ما بين 1900 و1913: نماذج من الصحراء المغربية" ، وارد في: المقاومة المغربية ضد الاستعمار ، 1955: الجذور والجليات –أعمال ندوة- ، أكادير منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية 1997 ، ص 132.

[29] . إدريس الناقوري ، "اسهام القبائل الصحراوية في مقاومة المستعمر الإسباني والفرنسي وفي تحرير الأقاليم الجنوبية" ، وارد في: المقاومة المغربية ضد الاستعمار ، المرجع السابق ، ص 391.
OP. cit. p 84.، Les relations Hispano Marocaines، Edouard MOHA

البلاد من الحملات والمحاولات الاستعمارية الأجنبية تمثل بالنسبة إلى القبائل الصحراوية واجبا دينيا ووطنيا وقوميا. وقد اكتست تلك المقاومة صورا متعددة :

- العزم والتصميم ويظهران في استشارة السلطة المركزية وفي استشارة الأولياء والعلماء (مراسلات مع السلاطين).
- استقبال البعثات السلطانية (بعثة مولاي عبد العزيز إلى السمارة سنة 1905) .
- إيفاد البعثات الصحراوية إلى السلطان في أواخر سنة 1905 في عهد مولاي عبد العزيز[31].
- بناء مدينة السمارة كمقر لتنظيم الجهاد ، ومركز جهادي لمكافحة المستعمر الفرنسي والإسباني ، وعبره يسهل تنفيذ التعليمات المتلقاة من السلطان ، وذلك بمساعدة السلطان مولاي عبد العزيز[32].

إن ارتباط الشيخ ماء العينين بملوك المغرب ووفاءه لما في عنقه لهم من التزامات وعهود ، يعد من أبرز مظاهر حركة المقاومة التي قادها الشيخ ، فقد ظل طيلة نصف قرن يتردد عليهم لتجديد البيعة والتشاور معهم في مختلف القضايا التي تهم الوطن ، وقد بلغت زياراته لهم أربعة عشرة زيارة منها: ثمانية زيارات تمت في مراكش وزيارتان في مكناس وثلاث زيارات في فاس. وهذا ما أدى إلى توطيد الدعم المخزني لحركة المقاومة ،

---

31 . نور الدين بلحداد ، "دفاع المخزن المغربي عن وحدته الترابية وعن وحدته الترابية وعن حقوقه المشروعة في الأقاليم الجنوبية" ، مجلة المناهل ، العدد 49 السنة العشرون ، نونبر 1995 ، ص 107. وانظر أيضا: إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، الجزء الثالث ، الدار البيضاء ، دار النشر الحديثة ، 1985 ، الطبعة الأولى ، ص ص 308-316.
وللتوسع أكثر حول موضوع جذور المقاومة في الصحراء وعلاقة سلاطين الدولة المغربية بهذه المقاومة ، راجع دراسة: حسن اوريد ، "جذور النزاع المفتعل حول الصحراء المغربية" جريدة الصحيفة ، العدد 11 ، 20-26 نونبر 1998.

32 . المقاومة المسلحة بالجنوب المغربي: 1912-1917 ، ثورة أحمد الهيبة وقبائل الصحراء وسوس نموذجا" ، بدون مؤلف ، مجلة المقاومة وجيش التحرير ، العدد 37 ، 1994 ، ص 29.

حيث أرسل السلطان مولاي عبد العزيز مائة بندقية للشيخ ماء العينين سنة 1906 ، تمكن بفضلها من مهاجمة المركز الفرنسي المقام في "تجيكجة" ومحاصرة حاميته لمدة 20 يوما تقريبا في نونبر من نفس السنة ، فاحتجت فرنسا بواسطة قنصلها بفاس على السلطان وهددته باستعمال قوة السلاح إن تمادى في إرسال السلاح للشيخ ماء العينين ، وذهبت كذلك إلى حد إرسال سفينة حربية إلى ساحل طرفاية لمنع رسو السفن المخزنية المحملة بالسلاح.

وفي فترة حكم السلطان مولاي عبد الحفيظ ، توطدت العلاقات بشكل كبير بين سكان الصحراء والمخزن المغربي ، وهكذا حل بمدينة مراكش وفد من قبائل الصحراء يرأسهم الشيخ ماء العينين سنة 1907 ، فجددوا للسلطان بيعتهم ، وطالبوه بكميات من الأسلحة للدفاع عن وحدة بلادهم الترابية[33].

لقد ظل الشيخ ماء العينين حتى سنة 1908 يحارب الفرنسيين بصفته ممثلا رسميا للسلطان بالجنوب ، واستمر الجهاد يحرك بواسطة ابنه أحمد الهيبة الذي قاد حركة قاعدتها الأساسية متكونة من العامة والتي تشكل الأغلبية. وترجع عوامل نجاح هذه

---

33 . Concernant la personne et l'œuvre de Ma EL Aïnïan ،voir :

- Mohamed BOUGHDADI ،Le passé et le présent marocains du Sahara ، op. cit ، pp 189-19

- Robert Rézette ،le Sahara occidental et le frontières marocainses ،Paris ، Nouvelle éditions Latines ،1975 ،pp 70-77.

34 . وللاطلاع أكثر على دور الشيخ ماء العينين في مواجهة المحاولات الأوروبية لاستعمار الصحراء ، راجع:
* شبيهنا ماء العينين ، الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني ، الرباط ، مطبوعات الجمعية المغربية للتضامن الإسلامي ، 1995

الحركة إلى تأييد السلطان مولاي عبد الحفيظ للحركة ، وكذا الشهرة الطاغية لبيت ماء العينين في العلم والجهاد والشرف[34].

من خلال هذه الومضات السريعة لمراحل الجهاد التي عرفها إقليم الصحراء ، يمكننا أن نخرج بملاحظتين حول مسؤولية السلاطين المغاربة عن الجهاد بهذا الإقليم :

⇦ الأولى تتعلق بموقع السلاطين المغاربة من الجهاد ، فهم أعلنوه وقاموا به وتتبعوه في كل فتراته ولم يتغيبوا عنه ، وكان لديهم وعي كامل بالمسؤولية عنه.

⇦ الملاحظة الثانية تتعلق بموقفهم من الجهاد ، إذ علينا تسجيل ثبات هذا الموقف الذي لم تغيره أية مساومات أو ضغوط ، ويكفي التذكير بأن المؤامرات التي كان الشمال يتعرض لها من إثارة للفتن والقلاقل لم تنقص من عزيمة السلاطين الذين تشبثوا بالجنوب بأقصى جهدهم ، وجندوا طاقاتهم للوقوف داخليا وميدانيا في وجه الاحتلال الفرنسي وكذا خارجيا، لأنهم كما سوف نرى كانوا يملكون في الساحة الدبلوماسية اعترافا دوليا بانتماء الإقليم الصحراوي إلى المغرب[35].

ومن المظاهر السياسية أيضا لممارسة السيادة ، نجد أن رسائل الملوك العلويين لبعض الولاة والقواد الصحراويين ، تعبر بصورة واضحة عن ممارسة هذه السيادة ، فتبعا لعلاقات البيعة التي ربطت على مر التاريخ قبائل الصحراء بسلاطين المغرب ، كانت هناك العديد من المراسلات التي بعثها سلاطين المغرب لولاتهم وخلفائهم في الصحراء ، شكلت

. عرض الباحث محمد ابن عزوز حكيم في الجزء الأول من كتابه: السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية ، (مرجع سابق) ، أكثر من 360 وثيقة أغلبها عبارة عن رسائل من السلاطين المغاربة إلى نوابهم وخلفائهم بمنطقة الصحراء المغربية.

[35] . شبيهنا ماء العينين ، الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني ، مرجع سابق الذكر ، ص 133.

دليلا إضافيا على عمق الأواصر والوحدة التاريخية والسياسية التي كانت تربط المغرب بأجزائه الجنوبية. وفيما يلي نستعرض البعض من هذه الرسائل[36]:

1- رسالة السلطان المولى عبد العزيز إلى الشيخ ماء العينين سنة 1905 ، في موضوع الحالة المرتبكة التي أوجدها في الصحراء المغربية الاعتداء المسلح الذي قامت به الجيوش الفرنسية[37].

2- رسالة السلطان سيدي محمد بن مولاي عبد الرحمان بن هشام إلى الشيخ الحبيب بيروك ، يأمره فيها بتوجيه أسير إسباني قبض الصحراويون عليه إلى تارودانت أو إلى الصويرة ، ويلح عليه في وجوب احترام السفن التي تتحطم على سواحل الصحراء وتوجيه ما يوجد بها إلى سلطات المخزن بالعاصمة.

3- رسالة الحسن الأول إلى الحبيب ابن الشيخ مبارك الوادنوني الجلمي ، عن موضوع القبض على الخارجين من الإسبان في سواحل مدينة الصويرة.

4- رسالة المولى الحسن الأول إلى إبراهيم بن مبارك الزركي، تفيد أن السلطان أضفى عليه حلل التوقير والاحترام والتعظيم وحرره من جميع التكاليف المخزنية والوظائف السلطانية ، عدا الزكوات فهو فيها كغيره.

5- رسالة مولاي عبد العزيز إلى القائد إبراهيم الشتوكي التكني ، يسند له النظر في مراقبة السواحل من طرفاية إلى رأس بوجدور.

---

36 . أنظر السعيد بوركبة ، أضواء على عمق الروابط بين قبائل الصحراء المغربية وملوك الدولة العلوية" مجلة دعوة الحق، العدد 341، السنة الأربعون ، مارس 1999 ، ص 97-98 .

37 . نفس المرجع.

6- كتاب مولاي عبد العزيز إلى القائد محمد الأمين والقائد بن الأمين بن عبد الله ، يكلفهما بمقتضاه بحراسة مراسي الجنوب.

7- رسالة المولى عبد الحفيظ بن الحسن إلى القائد محمد بن بلال والقائد إبراهيم بن مبارك من قواد الزركيين من تكنة ، يأمرهما فيها بطرد أحد النصارى من البحر بطرفاية وبمنع كل من يرد من القبائل للبيع والشراء معه[38].

وإذا كانت هناك أدلة وبراهين كثيرة على المستوى الداخلي ، تثبت مغربية الصحراء وتؤكد وجود علاقات تاريخية قائمة منذ قرون بين الصحراء والدولة المغربية ، فإن هناك العديد من الوثائق الدولية التي تعترف وترسخ مغربية الصحراء.

الفقرة الثانية: الحجج التاريخية على الصعيد الدولي حول مغربية الصحراء

انطلاقا من الفتح الإسلامي الذي وصل إلى ربوع الصحراء سنة 681 م على يد عقبة بن نافع الفهري كانت الصحراء مغربية عربية إسلامية لا تحتاج إلى دليل ، ومنذ قيام الدولة الادريسية وتقسيم البلاد الإداري أصبحت الساقية الحمراء ووادي الذهب أقاليم جنوبية هامة يشملها ما شمل باقي أقاليم البلاد.

وعلى هذا الأساس ، ابرم سلاطين المغرب العديد من المعاهدات الدولية مع مختلف الدول الأجنبية ، إلا أن القاسم المشترك للمواضيع التي تناولتها علاقات المغرب الاتفاقية هو إقرارها بسيادة السلطان على جميع أراضي المملكة الشريفة وتأكيدها على مغربية الصحراء واعتراف الدول الأجنبية وإقرارها بانتماء الإقليم الصحراوي إلى الدولة

[38]. مجلة الفنون، عدد خاص عن المسيرة الخضراء، مرجع سابق، ص 121.

المغربيـة ، كمـا أن هـذه المعاهـدات ، علـى اخـتلاف مواضـيعها وظـروف وملابسـات إبرامهـا ، تؤكد صراحة اعتراف المجتمع الدولي بالروابط القانونية للمغرب مع الصحراء المغربية.

وسـنكتفي بعـرض نمـاذج لهـذه الاتفاقيـات الدوليـة نظـرا لكثرتهـا وغـزارة مواضـيعها بدايـة نشـير إلـى بعـض المعاهـدات الدوليـة التـي كـان المغـرب موضـوعا لهـا ، والتـي تؤكـد رغـم وجـود سـلطة مغربيـة حقيقيـة علـى الأقـاليم الصـحراوية ، ويتعلـق الأمـر بمعاهـدتين مـن القـرن الرابـع عشـر وهمـا معاهـدة: " الكوسـوماس" ومعاهـدة " سـنترا" المبـرمتين بـين إسـبانيا والبرتغـال [39] ، حيـث حـددت المعاهـدة الأولـى اتفـاق الطـرفين علـى حـدود مملكـة مـراكش فـي جنـوب رأس بوجـدور ، كمـا تـنص المعاهـدة الثانيـة علـى نفـس الشـيء الـذي تسـميه مملكـة فـاس (المغـرب حاليـا) ، ولـم تكتـف المعاهـدتان بـإبراز البيعـة للسـلطان ولكنهمـا تعترفـان أيضا بان السلطة المغربية كانت تمتد إلى ما وراء رأس بوجدور.

وتـنص المعاهـدة المبرمـة بـين المغـرب وإسـبانيا فـي فـاتح مـارس 1767 فـي المـادة 18 علـى أن السـيادة المغربيـة تمتـد إلـى مـا وراء وادي نـون ، أي أنهـا تمتـد إلـى جنـوب المنطقـة المجـاورة للسـاقية الحمـراء ، ذلـك أن هـذه المـادة تـنص علـى : "إن جلالـة الملـك يحذر سكان جزر الكاناري ضد أية محاولة للصيد في شواطئ وادي

نـون ومـا وراء ذلـك ، وهـو لا يتحمـل أيـة مسـؤولية فيمـا سـيقع لهـم مـن طـرف العـرب سـكان المنطقـة الـذين مـن الصـعب تطبيـق القـرارات علـيهم ، إذ لـيس لهـم محـل قـار للسـكنى وينتقلـون

. راجع شبيهنا ماء العينين ، الشيخ ماء العينين وجهاده العلمي والوطني، مرجع سابق، ص 42.

[39] Rachid LAZRAK : Voir extraits du traité du 1 er mars 1799 au ،op.cit ،p 391.

كيفما يشاءون ويقيمون خيامهم حيث ما يطيب لهم" [40] ، وهذا ما يستنتج معه وجود السلطة الشريفة على وادي نون وما بعده في الصحراء بالإضافة إلى البيعة للسلطان.

وقد تعززت مضامين هذه الاتفاقية بعدة معاهدات وأوفاق دولية لاحقة ، كرست سيادة المغرب فيما وراء وادي نون ، وهذه المعاهدات هي على الخصوص الاتفاقية المبرمة بين المغرب وإسبانيا في فاتح مارس 1799 (الفصل 22) ، وتلك المبرمة بين المغرب والولايات المتحدة الأمريكية في 1836 (الفصل 10) ، والاتفاقيتان اللتان أبرمهما المغرب مع بريطانيا في 9 دجنبر 1856 ، بالإضافة إلى المعاهدة الإسبانية المغربية المبرمة يوم 20 نونبر 1861 (الفصل 38).

فبالنسبة إلى اتفاقية فاتح مارس 1799، تتعلق بإقامة منشآت تجارية إسبانية على إحدى النقط الساحلية الواقعة في جنوب المغرب [41] ، وحاولت إسبانيا في عهد السلطان مولاي سليمان التوصل إلى السيطرة الفعلية على تلك الشواطئ، لكن السلطان رفض مطالب الملك الإسباني انذاك شارل الرابع، وقد نصت المادة 22 من هذه المعاهدة على أنه، "... إذا حرث (أي غرق) لجنس الاسبنيول فيما وراء سوس ووادي نون، فمن جهة المحبة التي لملك إسبانيا في سيدنا أيده الله، يبحث كل البحث ويستعمل عزمه في استنقاذ رعية المحرثين بما أمكن إلى أن يرجعوا لبلدهم".

أما بالنسبة إلى اتفاقية 1786، فقد التزم السلطان سيدي محمد بن عبد الله بموجبها بتقديم المساعدة والحماية اللازمتين للسفن التي تجنح إلى سواحل الصحراء الأطلسية سنة 1786 في أول معاهدة شملت أحكاما تخص هذا الأمر، حيث تم إبرامها مع

---

[40]. أنظر احمد السالمي الإدريسي "الأقاليم الصحراوية في الاتفاقيات الدولية المغربية ما قبل الحماية"، مجلة أبحاث، العدد الثامن، السنة الثانية خريف 1985، ص23.

[41]. المرجع السابق ، ص 24 .

الولايات المتحدة الأمريكية. وتنص في فصلها العاشر على مايلي: "... وإذا ما جنحت سفينة امريكية بضفاف وادي نون أو على الضفاف المجاورة له، فإن ركابها يبقون في الأمان إلى أن تتيسر العودة إلى بلادهم إن شاء الله". وقد جدد السلطان مولاي عبد الرحمان بن هشام هذه

المعاهدة بمعاهدة أخرى في 16 شتنبر 1836 حملت نفس الشروط ، نصا وعددا، بما فيها الفصل 10 المتضمن للإشارة إلى الصحراء الجنوبية الغربية والسفن الأمريكية التي تركن إلى شواطئها ، حيث أضيفت إليها عبارة: "...أو حرثت سفينة في واد نون أو غيره فإن النصارى الذين بها في الأمان حتى يصلوا بلادهم إن شاء الله" [42].

أما المعاهدات التي نظمت العلاقات المغربية البريطانية، فقد شملت أوفاقا تنصب على الإقليم الصحراوي ابتداء من اواخر القرن 18 وطيلة القرن 19. وكانت أول معاهدة أبرمها المغرب مع الإنجليز في هذا المضمار هي معاهدة الصلح والمهادنة بين المولى سليمان وملك إنجلترا جورج الثالث سنة 1801 وبالنسبة إلى إنقاذ السفن الإنجليزية جاء في الشرط 33 مايلي : "... وإذا حصل تحريث لمركز الإنكليزي بوادي نون أو بناحية من سواحله فإن سلطان مراكش يستعمل جهده في تحصيل بحريته حتى يركبوا إلى بلادهم وحتى قونصو النكليز أو نائبه يؤذن له في البحث و الوقوف ما أمكنه في تحصيل مركب حرث في تلك الناحية، ويعينه على ذلك ولاة سلطان مراكش بما يوافق

---

42 . أنظر محمد رضوان ، منازعات الحدود في العالم العربي : مقاربة سوسيو تاريخية وقانونية لمسألة الحدود العربية ، الدار البيضاء ، أفريقيا الشرق، 1999 ، ص51 . وأنظر أيضا ، عبد العزيز خلوق التمسماني، مقالات ووثائق حول تاريخ المغرب المعاصر، طنجة، منشورات سليكي إخوان، 1997 الطبعة الأولى ، ص11.

وأيضا محمد ابن عزوز حكيم ، السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية، م.س. ص13

وللإطلاع على تفاصيل اتفاقية 1860 ، راجع جرمان عياش، دراسات في تاريخ المغرب،الرباط، الشركة المغربية للناشرين المتحدين، 1986، ص ص 311-320.

المحبة". ولقد ظل الشرط 33 محتفظا بنفس المضمون سواء مع المعاهدة التجديدية التي أبرمت بين المولى عبد الرحمان بن هشام والملك جورج الرابع في 1824 ، أو التي جاءت لتنظيم العلاقات المغربية البريطانية ابتداء من سنة 1856 [43] .

ومع انهزام المغرب خلال مقاومته للجيوش الإسبانية، أجبر على الدخول مع إسبانيا في علاقات غير متكافئة اضطر معها إلى قبول عدة معاهدات واتفاقيات كرست هيمنة الإسبانيين واستيلأئهم على أجزاء ترابية بشمال المغرب وجنوبه. وهكذا التزم المغرب بمقتضى الفصل الثامن من معاهدة تطوان المبرمة في 26 أبريل 1860 ، و التي تعتبر بداية هذه العلاقات غير المتكافئة الجديدة التي أصبحت تحكم الجانبين، التزم بتسليم قطعة أرض لإسبانيا لإنشاء مركز للصيد في المكان الذي كان يوجد فيه سنة 1478 برج "سنتا كروز Santa Cruz " دون أن يعرف المفاوض المغربي ولا الإسباني المكان الذي كان فيه البرج [44] . وإن كانت هذه الاتفاقية تكرس هيمنة إسبانيا واحتلالها لأجزاء من ترابه، فإنها تؤكد اعتراف إسبانيا بسيادة المغرب على أقاليمه الصحراوية الجنوبية.

وجاءت معاهدة 20 نونبر 1861 في فصلها 38 ، لتكمل و تعزز مقتضيات الفصل 18 من معاهدة فاتح مارس 1767 ، والمبرمة أيضا بين المغرب وإسبانيا، وينص الفصل 38 على أنه : "إذا تعرضت سفينة إسبانية للغرق في وادي نون أو في أي نقطة أخرى من هذا الشاطئ، فإن ملك المغرب سيستعمل كل نفوذه لإنقاذ قائد وركاب السفينة إلى حين عودتهم إلى بلادهم، وسيسمح للقنصل العام الإسباني والقنصل ونائبه والموظف القنصلي أو خلفائهم بأخذ جميع الأخبار والمعلومات التي يريدونها"[45].

---

[43] . مجلة الفنون، عدد خاص. مرجع سابق، ص 121.

[44] . أنظر فؤاد أخريف، قضية الصحراء ما بين التاريخ والقانون والسياسة، الرباط، مطبعة المعارف، 1988 ، ص27.

[45] . احمد السالمي الادريسي ، " الأقاليم الصحراوية في الاتفاقيات الدولية المغربية قبل الحماية "، مرجع سابق ، ص 25.

وإذا كان المغرب يلتزم باستعمال نفوذه لإنقاذ ركاب الباخرة الغارقة، فإن ذلك يعني أنه يتمتع بسلطة في أماكن الغرق ، كما أن الترخيص الذي يمنح لكي يتمكن القنصل وغيره من جميع المعلومات فلأن السلطان يملك سلطة وعلى الإسبانيين أن يتعاملوا معها ويتقيدوا بها.

وبالفعل قامت إسبانيا على إثر غرق سفينتها " إزمرلدا" في عرض واد نون بتقديم طلب إلى سلطان المغرب للتدخل حسب مقتضيات الفصل 38 من الاتفاقية المذكورة[46].

إن تحليل مختلف الأوفاق والشروط التي تمس إقليم الصحراء الواردة في هذه المعاهدات، تسمح لنا باستخلاص بعض النتائج الثابتة ، أولها أن السلاطين المغاربة تحملوا دائما الالتزام بإنقاذ ومساعدة الركاب والسفن التي تجنح إلى السواحل الصحراوية ، ثانيها أن عمليات الإنقاذ والمساعدة تتم بإشراف الولاة والعمال المغاربة بالمنطقة، وأخيرا حتى قناصل الدول الأجنبية أو نوابهم الذين يساهمون في أعمال البحث والإغاثة لا يسمح لهم القيام بذلك إلا بعد حصولهم على موافقة السلطان وحيازتهم إذنا بذلك.

وعلى العموم سواء تعلق الأمر بتقديم المساعدات للسفن المتضررة بالسواحل الصحراوية أو بمنح إذن الصيد أو الاحتفاظ بحق فتح الموانئ وإغلاقها، كان السلاطين المغاربة دائما حريصين أثناء إبرامهم للمعاهدات على الشؤون التي تمس الأقاليم الصحراوية الجنوبية، الأمر الذي جعل اتفاقاتهم الدولية تحتوي على الاعتراف لهم بممارسة ولايتهم على المنطقة، لكن هناك بالإضافة إلى ذلك، معاهدات أخرى تتعدى الاعتراف الضمني وتسجل اعترافا مباشرا بشكل صريح بانتماء الأقاليم الصحراوية

---

46 . انظر علي الشامي ، الصحراء الغربية عقدة التجزئة في المغرب العربي، مرجع سابق ص46

Voir aussi : « Fondements histroriques et juridiques de la marocanité du Sahara » ، site Internet : www.mincom.gov.ma/french

للدولة المغربية وسلامة الممارسة السلطانية به [47] ، ويتعلق الأمر على الخصوص بمعاهدة 13 مارس 1895 المبرمة بين المغرب وبريطانيا، حول امتلاك المغرب لمنشآت شركة شمال غرب إفريقيا في طرفاية، تضمنت اعترافاإنجليزيا بحقوق المغرب الجنوبية المحاذية للأطلسي، فالبند الأول نص على أنه في حالة شراء المخزن للشركة المذكورة "... لا يبقى كلام لأحد في الأراضي التي من وادي درعة إلى رأس بوجدور المعروف بطرفاية المذكورة، وكذلك فيما هو هذا المحل من الأراضي لكون ذلك كله من حساب أرض المغرب" . أما البند الثالث فيعتبر أن عملية شراء الشركة المذكورة شاملة " لزينة البناء حجرا أو خشبا الذي بالبحر والذي بالبر، كما يكون شاملا أيضا شراء المخزن لذلك ولجميع ما اشتمل عليه جميع البناء المذكور الذي في البر والذي في البحر من مدافع وغيرها، ولا يبقى كلام لأحد في ذلك ولا في تلك الأراضي"[48].

والجدير بالذكر أن إبرام هذه المعاهدة كان يعد انتصارا للموقف المغربي فيما يخص أراضيه الصحراوية، فبعدما ادعت بريطانيا العظمى أن طرفاية كانت توجد خارج الحدود الجنوبية المغربية جاءت معاهدة 1895 لتعترف فيها بريطانيا بأن طرفاية والأراضي الواقعة جنوبها هي جزء لا يتجزأ من المملكة ، وليس لأحد الحق في النزول بها إلا بإذن خاص من سلطان المغرب، ومن بين الأراضي المشار إليها كانت توجد أرض الداخلة المحتلة من طرف إسبانيا [49] .

---

47 . محمد ابن عزوز حكيم، السيادة المغربية في الأقاليم الصحراوية من خلال الوثائق المخزنية ، الجزء الأول، مرجع سابق، ص16.

48 . انظر ، "الدبلوماسية المغربية في عشر سنوات : من مارس 56 إلى مارس 66"، بدون ذكر اسم المؤلف ، الرباط ، مطبعة الأنباء ،1966 ، ص30

49 . ويتعلق الأمر بالأستاذ محمد برادة راجع احمد مهابة ، "مشكلة الصحراء الغربية بين الاستثناء والحل التفاوضي"، مرجع سابق ، ص208.

والملاحظ أن إسبانيا كانت تقوم في نفس الوقت بمفاوضات مع فرنسا من أجل اقتسام الأراضي المغربية برمتها، بحيث وقعت الدولتان في 27 يونيو 1900 على معاهدة جزئية كانت تخص الأراضي الصحراوية المغربية وحدها، فكان حظ إسبانيا من تلك الصحراء الشاسعة القطعة الشاطئية الممتدة من الرأس الأبيض (نواديبو حاليا) في الجنوب إلى رأس بوجدور في الشمال ، أي ما كان يعرف بمنطقة وادي الذهب. وهنا يمكننا أن نتساءل لماذا جعلت الدولتان المذكورتان الحد الشمالي لعملية اقتسامها للصحراء في رأس بوجدور ؟ والجواب يكمن في أن كل من فرنسا وإسبانيا كانتا على علم بأن بريطانيا العظمى كانت قد اعترفت بمغربية الأراضي الواقعة جنوب رأس جوبي في معاهدتها مع المغرب ليوم 13 مارس 1895. وقد أقرت المعاهدات السرية الاستعمارية أيضا مغربية الصحراء ولو بطريقة ضمنية، مثل المعاهدة الإسبانية الفرنسية المبرمة في 8 أكتوبر 1904ومعاهدة 3 أبريل من نفس السنة ، وجاءت معاهدة الجزيرة الخضراء أيضا والمبرمة سنة 1906 لتضمن سلامة ووحدة التراب المغربي ، وتثبت امتداد السيادة المغربية من الناحية القانونية على جميع الأجزاء الجنوبية للمغرب[50].

وفي السادس والعشرين من أكتوبر 1991 نشرت جريدة "لوموند" الفرنسية مقالا لأحد الباحثين المغاربة أحد الأسرار التاريخية [51] ، حيث يؤكد أن هناك وثيقة سرية غير معروفة ، تعود إلى سنة 1890 ، بين كل من باريس ولندن ، وقعت يوم 5 غشت من نفس السنة ، تحدد نفوذ كل من فرنسا وإنجلترا في إفريقيا، وأنه قد تم العثور في

---

50 . للإطلاع على تفاصيل اتفاقية 5 غشت 1890 انظر ، محمد برادة، اتفاق سري يؤكد مغربية الصحراء الغربية"، عرض غير منشور القي من طرف الباحث على هامش الملتقى الوطني الأول حول : "ثقافة الصحراء المغربية : المكونات والخصائص"، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بن امسيك الدار البيضاء، شعبة اللغة العربية وآدابها، 12-13-14 أبريل 2000.

51 . أنظر عبد الرحمان شحشي، " ممثلو المخزن بالبوادي المغربية"، جريدة الاتحاد الاشتراكي، العدد 6289 ، 28 أكتوبر 2000.